المقتطف

الجزء الحادي عشر من المجلد التاسع والعشرين

١ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٠٤ — الموافق ٢٣ شعبان سنة ١٣٢٢

تقدم الجغرافية

في القرن التاسع عشر

من قلم العالم جلبرت جروزفنر

كان القسم المعروف من اليابسة سنة ١٨٠٠ يبلغ نحو خمس اليابسة كلها وكانت الخرائط ترسم ويترك القسم المجهول بلا كتابة . فما جاءت سنة ١٩٠٠ حتى بلغ ما اكتشف من اليابسة عشرة اجزاء من احد عشر جزءاً تقريباً فبقي جزء من احد عشر مجهولاً (انظر الرسم الذي في صدر هذه المقالة) . والجزء المجهول متفرق على سطح الارض بقعاً صغيرة وليس هناك مساحات واسعة لم تكشف الاَّ في جهة قطبي الارض الشمالي والجنوبي

والفرق بين القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر من هذا القبيل ان الاول اشتهر باكتشافاته البحرية والثاني اشتهر باكتشافاته البرية كما يتبين مما يأتي

افريقية

كانت قارة افريقية على الخارطة منذ مئة سنة بقعة سوداء تحفها حاشية بيضاء قليلة العرض مع قربها من اوربا ووقوع ساحلها الشمالي موازياً لساحل اوربا الجنوبي على مسافة ألف ميل وما ذلك الاَّ لان رداءة اقليمها جعلت اسبانيا وفرنسا وانكلترا والبرتغال يشحن باوجههن عنها ويتزاحمن على الاستعمار في أطراف اميركا والهند الشحيحة وانما قصدن افريقية للاتجار بالرقيق فيها . اما الآن فقد اصبح معظم القارة معروفاً بفضل لفنستون وستنلي وباكر وسبيك ومنجو وغيرهم من اهل السياحة الذين جابوها طولاً وعرضاً فأناروا ظلماتها ولم يبق مظلماً سوى بقع صغيرة متفرقة لابد ان تكشف قريباً . وقد ضمت دول اوربا كل ميل منها الى املاكهن

بالطرق السلمية ماعدا المغرب الاقصى والحبشة على حين ان استعمار اميركا والهند كلفهن الوف الرجال وبدرات الاموال

واهم ما في تاريخ اكتشاف افريقية اكتشاف منابع انهرها الاربعة العظيمة وهي النيجر والزمبيزي والنيل والكنجو فان الرحالة بروس اخترق القارة في اواخر القرن الثامن عشر من البحر الاحمر حتى بلغ اعالي النيل الازرق في الحبشة (الاتبرة) ثم سار حذاء النهر حتى ملتقاهُ بالنيل قبلي بربر واستأنف السير من هناك الى القاهرة . اما الآن فقد اكتشف مجرى النيل على مدى طولهِ مسافة ٣٤٠٠ ميل . واكتشف ما طولهُ ٢٦٠٠ ميل من النيجر وبقي قسم صغير في اواسطهِ لم يكتشف بعد وما طولهُ ١٥٠٠ ميل من الزمبيزي ونحو ٣٠٠٠ ميل من الكنجو وهو نهر لا يفوقهُ حجماً الاَّ نهر الامازون في اميركا الجنوبية

اما مكتشف مجرى النيجر فجراح انكليزي اسمهُ منجو بارك انتدبتهُ الجمعية الافريقية الانكليزية لذلك فسافر من غمبيا في غربي القارة سنة ١٧٩٦ الى مسافة مئات من الاميال وعاد الى انكلترا ثم استأنف السير سنة ١٨٠٥ فقطع نحو الفي ميل من النهر بقاربٍ ومعهُ اربعة من الرفاق حتى اذا كاد يبلغ منابعهُ هاجم الاهالي قاربهُ فانقلب بهِ وغرق قبل ان يدرك غايتهُ ويبلغ امنيتهُ

وبعد موت بارك قام دنهام وكلابرتون فسافرا من فزّان جنوباً الى الصحراء الكبيرة واكتشفا بحيرة تشاد ثم سارا الى سكوتو على النيجر . ونلاهما سائح فرنسوي اسمهُ كاليه فوصل مدينة تمبكتو سنة ١٨٢٨ . ثم سائح آخر اسمهُ لنجال فسار من النيجر الى بحيرة تشاد وتوجه شرقاً مارًّا في وداي ودارفور والسودان المصري

على ان من اعظم المكتشفين لفنستون الرحالة الانكليزي الشهير فانهُ سافر الى افريقية سنة ١٨٤١ وكان طبيباً مرسلاً فبدأ سياحتهُ من مدينة الراس وظلَّ يتوغل شمالاً فما جاءت سنة ١٨٤٩ حتى كان على بعد ٨٠ ميلاً من مدينة لنكنج جنوباً و١١٠٠ ميل من مدينة الراس . واكتشف بحيرة نجامي وما زال يوالي السفر حتى بلغ ساحل الاتلنتيكي عند مدينة لواندا ثم عاد الى نهر الزمبيزي واكتشف الشلالات التي سماها باسم الملكة فكتوريا و بحيرتي نياساوشيرا اللتين يجري نهر الزمبيزي منهما

وسنة ١٨٥٩ سافر الضابطان الانكليزيان برتون وسبيك من زنجبار قصد اكتشاف بحيرة كثر التحدث بها في تلك الايام فبلغا بحيرة تنجنيكا ثم عادا الى زنجبار وافترقا فسافر برتون جنوباً وسبيك شمالاً برفقة صديق لهُ واكتشفا بحيرة فكتوريا نيانزا سنة ١٨٦١ . وفيما كانا

يدوران حولها وجدا نهرًا كبيرًا يخرج منها (البحر الابيض) ويجري شمالاً فسارا حذاءهُ حتى التقيا بالسر صموئيل باكر (باشا) وكان قد قدم من الخرطوم واستأنف باكر المسير غربًا حتى اكتشف بحيرة البرت نيانزا. وهذه البحيرة وبحيرة فكتوريا نيانزا هما البحيرتان اللتان يستمد النيل اكثر مائهِ منهما

وفي سنة ١٨٦٥ قصد لفنستون بحيرة تنجنيكا واكتشف بحيرتين اخريين ثم انقطعت اخبارهُ عن اوربا فأوفد المستر غوردون بنيت صاحب جريدة نيويورك هرالد الرحالة ستنلي للتفتيش عنهُ كما هو معلوم فسافر ستنلي من زنجبار غربًا حتى بلغ يوجيجي على ساحل بحيرة تنجنيكا الشرقي فوجدهُ فيها . ودار ستنلي حول بحيرة فكتوريا نيانزا ثم اكتشف بحيرة البرت ادورد وتوجه غربًا فبلغ نهر الكنجو وسار حتى ساحل الاتلنتيكي . وفي سنة ١٨٧٨ عاد يسعى في اجتياز افريقيا من الغرب الى الشرق للتفتيش عن امين باشا وانقاذهِ . فسافر من مصب الكنجو فرأى في سفرتهِ هذه جبال القمر

وتلاهُ سياح ورواد آخرون فاكتشفوا بلادًا اخرى مجهولة منهم دونلدسن سمث فانهُ سافر من بربرة واكتشف الارض الواقعة بين بحيرة رودلف والنيل . ومنهم جروجان فانهُ اجتاز القارة من مدينة الراس الى القاهرة فكانت سياحتهُ هذه خاتمة الاسفار الافريقية المشهورة التي تمت في القرن الماضي

الاصقاع المتجمدة الشمالية

كان لرواد الاصقاع المتجمدة الشمالية في القرن الماضي ثلاث غايات يرمون اليها الاولى اكتشاف طريق شمالية غربية توصل الى الهند . والثانية اكتشاف طريق شمالية شرقية . والثالثة بلوغ القطب الشمالي . اما الغايتان الاولى والثانية فتمتا لهم فان مكلور اكتشف طريقًا صعبة من بوغاز بيرين الى اوربا بين سنة ١٨٥٠ و١٨٥٣ والبارون نوردنسجولد العالم الاسوجي سار حذاء ساحل آسيا فوصل الاوقيانوس الباسيفيكي وكان ذلك حوالي سنة ١٨٨٠ . على ان اكتشاف تينك الطريقين لم يُفد الناس فائدة تذكر ولا يبعد ان الطريق الثانية تفيد تجار الخشب والفرو وما اشبه من حاصلات البلدان الشمالية متى تقدمت تجارة سيبيريا

بقيت الغاية الثالثة اي اكتشاف القطب الشمالي وهي وان لم تتم بعد الاَّ انها كادت تتمّ على ايدي ابطال المكتشفين مثل هول ولوكوود ونسن وامبروزي فان كلاً منهم تقدم نحو القطب عن سالفهِ حتى لم يبقَ بين القطب وآخر مرحلة بلغوها سوى ٣ درجات و٢٧ دقيقة وكان قد سبق هؤلاء الاربعة نفر من الرجال فاكتشفوا اماكن عديدة لم تكن قد اكتشفت

بعد اشهرهم مكنزي وبري وفرنكلين وروس . على ان أبقع اخبار تلك الاسفار ما المّ بالسر جون فرنكلن ورفاقهِ وكانوا ١٢٨ نفساً . وتحرير الخبر انهُ ركب سفينتين هو وجماعتهُ سنة شهر مايو سنة ١٨٤٥ ثم انقطع خبرهم وامحى اثرهم . وعرف فيما بعد ان الجمد سدَّ المسالك على سفينتهم فمات فرنكلين في يونيو سنة ١٨٤٧ وكان عند جماعتهِ حينئذٍ زاد يكفيهم سنة ومات ٢٤ نفساً منهم ولما كان الجمد لا يزال يكتنف السفينتين عقدوا النية ان لا ينتظروا ذوبانهُ بل يفتحوا لانفسهم طريقاً . ولم يعلم شيء عنهم بعد ذلك مع ان حملات كثيرة ارسلت براً وبحراً للتفتيش عنهم في كل الجهات حتى اذا كانت سنة ١٨٥٤ التقى الرحالة راي بشاب من الاسكيمو فاخبرهُ هذا ان قومهُ رأوا منذ اربع سنوات ٤٠ رجلاً ابيض يجرّون قارباً في مكان معلوم . ولم يمضِ على ذلك اشهر قليلة حتى عثر الرحالة المذكورة على ثلاثين جثة من جثثهم

وفي سنة ١٨٥٠ أُرسل مكلور وكولنسن لتفتيش عن سائر المفقودين من رجال الحملة من الغرب الى الشرق فلقي حملة قادمة من الشرق بقيادة السر ادورد بلشر ولم يرَ هو ولا غيرهُ اثراً لفرنكلين ولا سمعوا بما جرى لهُ مع انهم واروا البحث والتنقيب تسع سنوات متتابعة . الاَّ ان امرأة فرنكلين لم تيأس فجهزت سنة ١٨٥٩ حملة سارت بقيادة مكلنتوك فعثرت على هيكل انسان في بلاد الملك وليم وتوصل هوبسون الى معرفة ما جرى للحملة من سنة ١٨٤٥ الى ١٨٤٨ . وكانت نتيجة هذه الحملة معرفة مواقع الجزر الممتدة على الساحل الشمالي من اميركا الشمالية

الاصقاع المتجمدة الجنوبية

حول القطب الجنوبي بقعة لم تطأها قدم انسان بعد وهي ضعف اوربا مساحةً ولا يعلم ما اذا كانت ارضاً يابسةً او بحراً كبيراً

واهمُّ الذين قصدوا تلك الاصقاع للاكتشاف الكابتن سمث فانهُ اكتشف جزائر شتلاند الجنوبية سنة ١٨١٦ وتلاهُ كثيرون غيرهُ واكتشفوا اراضي اخرى ابعدها على عرض الدرجة الثامنة والسبعين وكان الذي بلغ هذا العرض السر جيمس روس من مشاهير المكتشفين في الاصقاع الشمالية كما تقدم وذلك سنة ١٨٤٢ . ولم يتجاوز احد هذا الحدّ الاَّ بورشجرافنك سنة ١٨٩٩ فانهُ بلغ عرض ٧٨° و ٥٠' . وهذا اقصى ما وصل اليهِ انسان في تلك المجاهل السحيقة حتى آخر القرن الماضي

استراليا

استراليا قارة تساوي الولايات المتحدة الاميركية مساحة وعدد سكانها الانكليز الآن ستة ملايين لا غير . وفي اواخر السنة الاخيرة من القرن الماضي اتحدوا والفوا حكومة مستقلة

استقلالاً اداريًا . وقد كانت استراليا في السنة الاولى من القرن الماضي بلاداً مجهولة تسكنها قبائل همجية منحطة في سلّم المدنية وجماعة من الانكليز متفرقة على ساحل البلاد المعروفة اليوم باسم نيوسوث ويلس واما سائر اقسام القارة فلم يكن يعرف عنها شيء

وفي اوائل القرن الماضي اكتشف الكبتن كنغ مصابٌ انهر استراليا وسواحلها الشمالية والغربية وما بينها . وقام بعده ستيوارت فاكتشف نيوسوث ويلس واوغل في القارة حتى بلغ اواسطها وعاد فجدَّد الكرة واجتازها من جهة الى جهة سنة ١٨٦٢ فكان اول ابيض فعل ذلك وتلاه كثيرون فاكتشفوا اماكن مجهولة حتى لم يبقَ من القارة سوى اماكن قليلة لم تكتشف ومعظمها صحارى قاحلة

اميركا الشمالية

اهمّ الاكتشافات الجغرافية التي جرت في القرن التاسع عشر كان في اميركا الشمالية وخصوصاً الولايات المتحدة الغربية . ومعظم الفضل في ذلك عائد على المستعمر والمعدّن لا على الجغرافي ولا السائح المكتشف . وقد كانت البلاد الواقعة غربي نهر مسسبي والجبال الصخرية في جملتها مجهولة سنة ١٨٠١ . فكانت كتب الجغرافية المعروفة حينئذٍ تصف اميركا الشمالية بانها بلاد " معظمها سهولة مستوية قليلة الانحدار ليس فيها من الجبال الشاهقة غير الجبال الواقعة نحو القطب والجبال التي تخرق الولايات المتحدة الشرقية وتسمى جبال الليغاني "

الاّ ان كثيرين من الرواد والمكتشفين ساعدوا في اكتشاف بعض الاماكن المجهولة مثل وادي نهر مسوري والجبال الصخرية وكليفورنيا وغيرها . ومن اولئك الرواد فريمونت ولويس وكلارك وبيك وبونفيل وبويل وغيرهم كثيرون

اميركا الجنوبية

ليس بين القارات الستّ قارة يجهلها الناس الآن مثلما يجهلون هذه القارة مع انها كانت منذ مئة سنة اشهر القارات واعرفها ماعدا اوربا . فان الجزويت أوغلوا فيها بطريق الانهر التي تخترقها من كل جانب حتى بلغوا قلبها ورسموا خرائط الاماكن التي مروا بها

ومن اشهر مكتشفيها همبلت المشهور فانهُ ساح في كثير من بلادها وكان اول من توسع في تفسير كلمة " جغرافية " فأطلقها على وصف اقليم البلدان وهوائها وتوزُّع الحيوان والنبات فيها وطبيعة تربتها ولم يقتصر على رسم الانهر والجبال وغيرها كما ترسم الخرائط عادة . وتلاهُ مكتشفون آخرون مثل سبيكس ومارتيوس وشومبرج وكريفو فاكتشفوا كثيراً من الاماكن التي لم تكتشف قبلاً فصارت اميركا الجنوبية على ما نراها الآن

اسيا

كان ماركو بولو الاوربيّ الوحيد الذي جاب جزءًا كبيرًا من اسيا قبل سنة ١٨٠٠ . وما استهلّ القرن التاسع عشر حتى أمها المكتشفون من كل ملة ونحلة ورسموا خارطتها فجاءت مضبوطة في مجملها وأوفدت روسيا عددًا عديدًا من الرجال للاكتشاف من الشمال الشرقي فقامت انكلترا تناظرها وارسلت رجالها من الجنوب . وربما كان اكتشاف مجاهل اسيا اصعب مراسًا وأبعد منالاً من اكتشاف مجاهل افريقية او استراليا او اميركا الشمالية لان الاجنبيّ كان يلقى فيها مئات من ملايين الشعوب والقبائل التي تختلف في طباعها واخلاقها عن متوحشي افريقية فتقف في سبيله وتحول دون تقدمه

وفي سنة ١٨٢٩ دخل همبلت اواسط اسيا وسواحل بحر قزوين . وعقبهُ المرسل الفرنسوي هوك فعبر بلاد التبت سنة ١٨٤٤ — ١٨٤٥ وأقام عدة اشهر في لاسّا عاصمتها . وساح بلجراف في بلاد العرب حوالي سنة ١٨٦١ واجتازها من جهة الى جهة . ثم قام السائح جازنييه المشهور وساح في كمبوديا والصين وقطع اكثر من ٥٠٠٠ ميل في بلاد لم يعرفها الغربيون قبلاً . وتلاهم كثيرون غيرهم مثل سفن هدن ورشتوفن وروكهل فاكتشفوا اقاليم كثيرة ومسحوها وعينوا مواقعها في الخارطات فاصبحت اسيا وهي تكاد تعرف كلها

الخاتمة

وغاية القول ان تقدم الجغرافية في القرن التاسع عشر كشف خبايا كل زاوية من زوايا الارض امام اهالي اوربا واميركا . بل ان تقدم العلوم الجغرافية فيهِ أماط النقاب عن اصل الارض وكيفية تكوّنها . فان علم الجيولوجيا الذي يبحث في طبيعة قشرة الارض وتكوّنها يخبرنا عن الدور الجليدي ويدلنا بواسطة البقايا المتحجرة على ان الحياة ظهرت في الارض منذ الوف الملايين من السنين . ثم ان علم الظواهر الجوية الذي يبحث في احوال الهواء المحيط بالارض وعلم اعماق البحر انما هما نتيجة تقدم الجغرافية في القرن الماضي . وسيكون مدار بحث الانسان في هذا القرن على سبر غور البحار لحلّ اسرارها وهتك استارها